،، كم هي رائعــة »امزيدية »باللهجة التهامية« فالزيدية – إحدى مديريــات محافظة الحديــدة في الجزء الشــمالي تبعد عن مركز المحافظة ٦٥ كيلومتراً.

كثيــراً مــا حلمت بزيارتهــا، وكثيراً مــا وعدت الإنســان المثقف الأستاذ محمد عبده دهني بزيارة مدينته وأهلها الطيبين.

»الزيدية« تستلقي في أحضان الرمال الدافئة، كما يتدلل الطفل فــي حضن أمه، هذه المدينة تحتضــن الكثير من الآثار، وها نحن نرحل في عمق هذه المديرية، فإلى تفاصيل ذلك:

استطلاع/محمد علي الجنيد

مـدينـة الزيــديــة بمحافظة الحديدة

مآضٍ تراثي عريق.. ومستقبل سياحي واعد

بـ «امـحــرامـي».. و«فــل امقـريشــي» تبتســم الــروح

رؤية واضحة

■ ها هي مدينة الزيدية تقف مبتسمة في استقبالنا لها، وتتشابك على صدرها الدهشة والسعادة واضحة الرؤية، نسيت صعوبة الطريق إليهــا رغم الازدحام داخل ســيارة »هيلوكس« كنــا ثمانية نفــر بداخلها محشــورين، وبـ »البودي« الكثيــر من الناس كالأغنام مزدحمين، وكان صــوت الفنان الكبير أيوب طارش – العذب ولحنه الشــجي يصدح من مســجلة السيارة، »قلبي يسائلني عليك أين أنت

أين الحب هل عادك حبيب«.

ولكن روعة الزيدية تتملى بدهشــة المســحور ببذخ الجمــال المنثور علــى أروقة هــذه المدينة الســاكنة بابتهالات أوليائها الصالحين، محفوفة بطهر الملائكة، صاعــدة بروحها إلى بارئها العظيم، تســتجديه دوام السكينة ودفء الأمان.

ها نحــن نقف على تــراب الزيدية بعــد أن قطعنا مســافة (٦٥) كيلومتراً شــمالاً من مدينــة الحديدة، فالزيديــة حيــث الريح لا يقر لها خاطــر ويصل عدد سكان مديرية الزيدية حوالي (١١٤٥٣٢) نسمة حسب تعداد عام ٢٠٠٤م.

قرى متناثرة

■ مدينة الزيدية عبارة عن قرى متناثرة جنوب مدينة أبيات حسين التي كانت مصدر إشعاع ومنبع علم في عصر الدولة الرســولية، وأشهر علمائها اسماعيل بن المقــري المتوفي ٧٣٠هـ ويذكر المؤرخون أن بعد حريق مدينــة أبيات حســين انتقل أغلب ســكانها إلى قرى بالقرب من ضريح الشيخ دهل.

تســمى الزيدية وتنســب إلى زيد ذوال هذا ما ترويه العامة، أما الوشــلي في تاريخه (نشر الثناء الحســن) أنها ســميت بالزيدية لأنه كان حواليها قبيلــة من ذرية زيد بــن ذؤال وبالقرب منها تتناثر بقايــا أحجار تحكي عن حيــاة لقرى كانت عامرة ثــم صارت جزءاً من هذه المدينة بانتقال ســكانها إليهــا، وفي مدينة الزيديــة قامت نهضة علمية من خلال الأربطة التي كان أهمها رباط الشــيخ صائم الدهر بمســجده في وسط البلاد – الآن – وآخرها رباطِ الشــيخ أحمد عامر رحمه الله والذي ما زال قائماً إلى الآن فيه مدرســة علم وســكن شــيوخ طريقة صوفية، ومن خلال تلــك الأربطة الصوفية اســتطاعت الزيدية أن تحتل مكانــة علمية هامة، ففــي رباط الشــيخ صائم الدهــر – مثلاً – كانت هناك خلايا علمية وعلماء أجلاء فقد تخرج من ذلك الرباط الكثير من العلماء والفقهاء.

حضارة خالدة

تــدل الآثار القائمة فــي الزيدية علــى الرقي الذي شهدته وتتنوع هذه الآثار فمنها الأربطة العلمية وهناك قلعة الزيدية الشامخة كالجبل التي بنيت أثناء الحملة التركية الأولى، والقلعة تتوســط المدينة وكان آخر بناء فيهــا دار الضيافة الذي أقيم فــي النصف الأول من القرن الماضي وبطبيعة تهامة الثقافية أوجدت مقامات أســرية كشــواهد على ثقافتها وهي أشبه بـ »دواوين الأدب« كمنزلــة الفتوى في حارة القديمي، وفيها ينزل الضيــف الوافد للتبــراك أو الجوار أو الاســتفادة، وتســمى الدواوين »المبارز« »المنازل«، ويبقى الجامع الكبيــر الذي بناه أبو الغيث حمود – أحد عمال الأئمة بالزيدية، أثراً تاريخياً بارزاً يســتوحي منه الزائرون عراقة المدينة وحضارتها من خلال بنائه البديع.

أعيد ترميم ووضع ســقف لشمسيته التي كانت في وســط المسجد، وللمســجد مكتبة حافلة بالمخطوطات النادرة ما زالت حبيسة أدراج القائمين عليه.

بتصميمه القديم درة ســاطعة في قلــب المدينة في شــموخ تاريخي عتيــق يختصر كل تحــولات الزمن بألوانه الناصعة كمعلم من معالم المدينة العريقة.

ولكن يبقى جامع الشيخ صائم الدهر أقدم المساجد بناء مبنياً على طراز فريد وبديع جداً، حيث وضعت في فنائه ثلاث غرف للنازلين من طلبة العلم، وقد أســسه الشــيخ أبو بكر صائم الدهر والــذي أوقف ما يقارب »الألف معاد« أي ما يعادل) ٢٥٠ (هكتاراً وقف سكن للوافدين إلى البلاد وهي أغلب المســاحة السكنية في المدينة إلى جانب أوقاف الشيخ دهل، وقد تمت حديثاً عملية تجديد للمسجد طمست معالمه هدمت على أثرها المدرســة والغرف والمئذنة التي كانوا يؤذنون منها قبل وجود مكبرات الصوت.

مساجد أثرية

وهناك مســاجد أثرية كثيرة أبرزها مسجد الحلة أقدم مســاجد المدينة وجوداً وهو ممــا تبقى من آثار أبيات حســين وهــو بالقرب من ضريح الشــيخ دهل في الشــمال الغربي من مدينة الزيدية على ربوة تلفها أشجار الســلام، وقبة الشيخ دهل تتكون من جزءين منفصلين أما الجزء الشــرقي منهــا ففيه القبر وبقي الجزء الغربي لغزا لا نعرف سره حول القبة بناء مربع بارتفــاع ما يقارب متراً ومســاحة تــكاد تكون٦×٦ وهي مجلس الحضــرة التي يعقدهــا المتصوفة على قبر الشــيخ وهي تشابه الحضرة التي بنيت حول قبر الشيخ صديق في مدينة الحديدة.

صاحب القبر هو الشيخ أبو بكر بن إبراهيم الملقب »دهل« كما يذكر الوشلي في تاريخه.

سوق متميز

ويبقى يوم الثلاثاء يوماً استثنائياً جداً ،يوم الثلاثاء يوم « الوعد» يأتي فيه الناس للتســوق من القناوص، المغــلاق المنيــرة ،الضحــي وغيرها ففي هــذا اليوم يبتهجون ويحتفون به كاحتفائهم بواجباتهم الدينية لا طعــم لليلة الجمعة والثلاثاء لا طعم لمســائيهما إلا إذا كان عابقــاً بشــذى الفل ،أعراســهم لا تكتمل إلا إذا انتشــى الفل والمســاء يتيم حتى يحتضنه بهاء الفل، والرجال لا ترتاح ضمائرهم إلا إذا هدوه إلى زوجاتهم .

»القريشــي« هكذا يســمى الفل عند سكان شمال تهامة ، ويزرع بجودة عاليــة بالزيدية وكميات كبيرة، وتبقى ابجديات الفل وتشكيلاته الجمالية لغة روحانية بالنفوس ومنها الكبش والهمش والشرديخة والعكارة والمشــهد والمزناق وغيرها من التشــكيلات الجمالية للفل.

ما أروعه حين يتمازج ســواد الشــعر وخضاب اليدين مع بياض الفل وبهائه على وجه الفتاة تطلق بصرها مســرحة إياه في فضاء مــن عبق الفل لا يضيق ويبقى لليل فــي الزيدية خصوصية خاصة ذات نكهة متميزة بـ» قات الحرامي» ناثراً في أورقة المدينة صفاء شهياً ونفوسهم ارتشفت خمرة الحب والود والوصال.

إبداع فني كل أثنين يرتوي من نهره العذب الكثير من أدباء ومثقفين ومبدعين من مختلف مديريات المحافظة، وتوالــت فيه قامات فكرية وثقافيــة وأدبية عملاقة من أعيان الثقافة والعلم ومن صفوة الأكاديميين والمهتمين بشــأن الثقافة والأدب والفن ،وتمكن من إيجاد منطقة ثقافيــة حــرة تجمع ألــوان الطيف الثقافي ويجســد الاعتزاز بالانتماء للوطن وثقافته وقيمه وهويته.

وصدق القائل:

نحن من منتداك في أي دوح
وخميل ومورد وظلال
وجنان قطوفها دانيات
وكؤوس هنيئة من زلال
وتجلى سناك في كل قلب
من محبيك كاجتلاء الهلال

ومن خلال هذه السطور أشكر الأستاذ محمد عبده الدهنــي، الذي جعلنا نتعرف علــى مبدعينا ومثقفينا ويجمعنا أسبوعياً ومزيداً من العطاء الإبداعي والعمل علــى توثيق التراث الشــعبي ويبقــى الدهني بروحه المتجددة متدفق العطاء والإبداع.

توجد بالمديرية ١٢ مدرســة للتعليــم الثانوي منها ١٨أساســية وثانوية و ٤مدارس ثانوية مدرسة ثانوية للبنات مســتقلة ومدرســة أساســية وثانويــة للبنات ومدرســة مســتقلة للبنين ومدرســة ثانوية وأساسية مختلط وهناك ٧٥ مدرســة أساسية منها ٣٩ مدرسة للبنات و ٣٦مدرسة أساسية للبنين.